تاريخ اشور

لجناب الاديب جميل افندي المدوّر

بسم الله الحيّ الباقي

الحمد لله الذي جعل لنا نبأ المتقدمين عبرة وذكرى . ودلّنا بزوالهم على انه هو الباقي الذي سيعيدهم تارة اخرى . اما بعد فان علم التاريخ لمن اجلّ العلوم مقداراً . واوسعها مداراً . به تعلم الخطط والممالك . وسياسة الملوك والممالك . وما كان للغابرين من الشعوب والقبائل . والانساب والمنازل . والعقائد والمذاهب . والتجارات والمكاسب . والصنائع والعلوم . ما بين منطوق ومفهوم . الى غير ذلك من الفوائد الكثيرة . والمطالعات الانيرة . ولشؤم الطالع الذي عمّ هذه الاقطار . وما توالى عليها من الحوادث والاقدار . قد طمس الجهل فيها على آثار هذا العلم الشريف . وضرب الفقر على ايدي ارباب التدوين والتاليف . فمن عهد كذا من الزمان لم نجد من دوّن سِفراً يُسفر عن احوال اباءه واهلها . ولا من بحث في تواريخ الامم السالفة ونقّب عن احوالها واصلها . من نحو الاشوريين والمصريين . وغيرهم من الشعوب الغابرين . حالة كون الانوخ مثلاً قد بحثوا في ذلك البحث العميق . وامعنوا في التنقير والتدقيق . وقد احصوا من تلك الحقائق ما لا مزيد عليه لباحث . وقرّروا كثيراً مما غرّب من الآثار والحوادث . فتراهم يرحلون في طلب الوقوف على ما في البلاد من الآثار . ويتجشمون لذلك مشقة الاسفار وافتحام الاهوال والاخطار . خلافا هنالك من صرف النفقات الجزيلة . ومعاناة الاتعاب الطويلة . حتى افضى بهم الامر الى احتفاو جبال من الانقاض والاتربة . لكشف ما بقي تحتها من الآثار والاخربة . فشرحوها للمطالع شرحاً واضحاً عن عيان . يظهر به حال تلك الامكنة وما كان عليه اهلها في ذلك الزمان . وبيان واضحها وهادمها وما وقع بين ذلك من الحدثان . والى اليوم ما برحوا يجدّون في البحث عما بقي مستتراً وراء ظل القِدَم وتقلبات الدهر . وكثيراً ما نقلوا من تلك الابنية العظيمة والصخور الضخمة فحملوها على مراكب البر والبحر . بحيث لو جُمعت تلك المنقولات لكانت مدينة كبيرة من اعجب الابنية واسدادها . قد حملت من الشرق الى الغرب فرست هنالك ولن يبرح الى الابد مرساها . فقد استاثروا بمعظم ما اشتهر من مفاخر اجدادنا . وزينوا بلادهم بما دفنته الدهور من آثار بلادنا . ولا اقول الاّ ان تلك المآثر الجليلة . والمفاخر الاثيلة . قد اصبحت عند من يقوم بحقها ويقوّمها بافانها . ولا يرضى لها ما رضيناهُ من اهمالها وهوانها . هذا واني لما رايت تقاعد ابناء الشرق عن سلوك مثل هذا السبيل . وعدم احتفالهم بما ينبغي من الجد لادراك هذا الشان الجليل . حدّثتني نفسي ان اتطاول على ما هي من القِصَر . فاجني لهم بعض ما وصلت اليه يدي من داني ذلك الثمر . لعلهم اذا الجبهم الامر صمموا فيه الى اعلى ما قصدت . فاستفيد من فضلهم بعد ذلك اكثر ما افدت . فاستصحبت بتبراس اولئك القوم الافاضل . واغترفت ما يسع مثلي اغترافه من سلسال تلك المناهل . والفت هذا الكتاب في تاريخ اشور وبابل . وقد جمعته عن اشهر اقوال المؤلفين في هذا الاوان . مما وصلوا الى تحقيقه بعد شهادة الاخبار والعيان . وقسمته الى قسمين احدهما جغرافيّ يبين الحدود والمساحات . وما يتعلق بذلك من الابنية والمدن والهياكل والساحات . والآخر تاريخيّ ذكرتُ فيه ترجمة من اشتهر من ملوكهم وعظمائهم . وما اشتهر لهم من الفتوحات وعظائم الاعمال الى حين انقضائهم . والمامول من ارباب النقد غض الطرف عما يرون فيه من الخلل . والله المسؤول ان يوفقنا الى السداد هو حسبنا وعليه المتكل

مقدمة

قد اختلف المؤرخون في بيان اصل البابليين والاشوريين واشياء كثيرة مما يتعلق ببداءة امرهم فذهبوا في ذلك مذاهب شتى لا تتلاءم ولا تتقارب حتى توصّل الافرنج في هذا الزمان الى حلّ الكتابة المعروفة بالمسمارية وهي الحروف الاشورية فتبيّن لهم كثيرٌ مما كان المؤرخون يختلفون فيه من تلك الحقائق وجزموا بكثير منها عن يقين لانهم راوا حقيقتها مسطرة على جدران الابنية التي كشفوها في تلك النواحي فكانت اصدق شاهد بما كان من امر تلك الابنية وواضعيها ونواريخها الى غير ذلك مما يقرّرها باجلى وضوح. وكان كثيرٌ من متقدمي المؤرّخين الذين يوصفون بالثقة والشهرة يجعلون مملكة البابليين او الكلدان نفس مملكة الاشوريين وذلك كما فعل هيرودوطس المؤرّخ اليوناني المشهور حيث يقول في تاريخه ما نصه ان اشور تشتمل على كثير من المدائن الكبيرة الاّ ان اسمى تلك المدائن جميعًا وامنعها عزةً مدينة بابل وقد اتخذها ملوك تلك البلاد عاصمة لهم منذ خراب مدينة نينوى اهـ. والصحيح غير ما ذكرهُ فانهُ علم بعد البحث ان مدينة بابل كانت عاصمةً للملوك ايامَ كانت نينوى عاصمة ملوك اشور وقد كان بين هاتين المدينتين قتالٌ دائم. ويمكن ان يُستدلّ من ذلك ان ما رواهُ عن فنون الاشوريين وتاريخهم اصلة للكلدانيين او ما رواهُ عن عوائد البابليين وعقائدهم هو للاشوريين الى غير ذلك مما يجاذبهُ طرفا الوهم والصحة على ما ستراهُ في مواضعه ان شاء الله تعالى

وانما كان منشأ هذه الاختلافات على الاكثر كتّاب الفرس الذين شحنوا التاريخ بحكايات فارغة خرافية لا يوثق بها وجعلوا كتاباتهم هذه في بلاط ملوكهم فكان كل من اراد الاطلاع على شيء من اخبارهاتين المملكتين يستعين بها فينقل عنها ما ارادهُ حقيقيًا كان او غير حقيقي وتداولت هذه الحكايات الطويلة السنة العامة فزادوا عليها وحرّفوا منها حتى اصابها مع تمادي الازمنة وتكرر الايام نفس ما اصاب تلك القرون والآثار من الانقلاب والاضمحلال. وحسبك من ذلك انهم رجعوا بملك نينيب فلاصر الذي جعلوهُ نينوس سبعة قرون وبملك سمورامیت امراة بطلوخوس الثالث التي جعلوها سميراميس اثني عشر قرنًا وقالوا انها امراة نينوس المذكور ونسبوا اليها بناء سور بابل وهيكل بطوس والقصرين الملكيين والحدائق المعلقة احدى العجائب ورصيفي النهر وغيرها من الاعمال الكبيرة والحروب العجيبة التي تذكر في الكلام عن بابل وسميراميس وبختنصر وغيرها. ولما قصد اكتزياس الكنيدي طبيب ارتكزرسيس منيمون الفارسي جمع تاريخ لاشور باليونانية نقل عن الكتب الفارسية التي في بلاط الملك الخرافات المذكورة وهي المتداولة بين العامة فاثبتها كتّاب اليونان من بعدهِ وما زالوا يتداولون ذكرها ويتناقلونها هم وغيرهم من امم شتى الى عصرنا الحالي. لاجرم ان مملكتي بابل واشور هما من اقدم الممالك خبرًا ونسبةً ومن اشهرها تاريخًا واعلاها عزةً ومجدًا وقد بلغتا من العظمة والرفعة في المشرق على عهد مختنصر ما بلغت مملكة الرومان في المغرب على عهد كبراء القياصرة ونرى ايضًا ان لهما تاريخًا مشغولاً في القدم مع قطع النظر عما يقوله مؤرّخو الكلدان الذين يزعمون ان ملكهم بقي ما يزيد على ٤٧٣٠٠٠ سنة وذلك منذ ممالك الوروس قبل الطوفان الى سقوط داريوس واضمحلال دولتهم. وقد اشتغل كثيرون من المؤرّخين بتدوين تاريخ البابليين والاشوريين او نقل شيء منهُ ولكن اختلفت فيه مذاهبهم على اتجاهٍ متباينة ولم يكن جهد من عني في كل عصر بتصحيح خطائهم الاّ عبثًا وضياعًا وربما كان تصحيح بعضهم مؤدّيًا الى خطاء آخر وادخال وهم جديد. وما زالت الناس على ذلك الى ان كُشفت اخيرًا مدائن بابل واشور الكبيرة وتُوصّل الى قراءة الكتابة الاشورية على ما اسلفنا ذكرهُ فنسنى لنا من ثمّ الوقوف على كثير مما غمض من اخبار هاتين المملكتين وايضاحها عن يقين جازم. ومعظم ما ورد في وصف بابل واشور وتاريخهما ما هو مدون في مصنفات هيرودوطس اليوناني وديودوروس الصقلي نقلاً عن اكتزياس الكنيدي المتقدم ذكرهُ وبيروسوس الكلداني. والاولان قدما بابلَ في اواخر القرون الوثنية وكانت قد انحطت عن مجدها فوصفا ما عايناهُ من ابنيتها ولكن ليس في كلامهما ما يُعرّف به اصل سكانها الاولين. على ان الاول منهما

احقّ بالثقة من الثاني لما ستعرفهُ وهو الذي لقيها عاصمة اشور الاّ انهُ لم يرد في كلامهِ شيءٌ عن نينوى ولا عن بانيها ولكنهُ اكتفى من تاريخها بقولهِ انها مبنية على عدوة دجلة . ويفهم من كلامهِ انهُ كتب تاريخاً لاشور و بابل لانهُ يقول «ولبابل ملوك كثيرون اذكرهم في الكلام على اشور» الاّ انهُ لم يقع الينا شيءٌ من ذلك ولا عثرنا على نقلٍ منهُ في كتب المؤرخين فلا يُدرَى هل كتب هذا التاريخ فعلاً ام كان ذلك في نفسهِ ثم لم يتأتَّ لهُ اتمامهُ. لاجرم انهُ لو كان موجوداً في ايدينا لا تسع لنا النطاق في معرفة اخبار ملوكهم وعظمائهم وفنونهم وعلومهم وعقائدهم وابنيتهم ومدنهم الى غير ذلك مما نتشوق الى معرفتهِ ونرتاح الى الوقوف عليهِ

واما الثاني فجميع كتاباتهِ او معظمها منقولةٌ عن مصنفات اكتزياس الكنيدي طبيب ملك فارس التي فقدت في جملة مصنفات قديمة ثمينة . وكان مقام اكتزياس هذا في فرسبوليس في بلاط الملك المذكور آنفاً فجمع ما جمعهُ عن اشهر مؤرخي الفرس ولذلك يرجعهُ قومٌ على غيرهِ من المؤرخين في معرفة حقيقة تاريخ اشور . ومن تاريخهِ ما رواهُ ديودورس نقلاً عنهُ ان اول ملوك اشور نينوس وكان جباراً ابتنى مدينةً على عدوة دجلة سماها نينوى باسمهِ فخلَّدهُ الذكر ثم نهض للفتح فجهز جيشهُ وزحف بهِ على اقاليم كثيرة فاستفتحها وضرب عليها الخراج . وبعدهُ استبدَّت بالملك سميراميس زوجتهُ وكانت اول امراةٍ ملكت في العالم وهي التي شادت سور بابل ونديت لبنائهِ ما ينيف عن الفي الف رجل . اه

واما بيروسوس فهو كلداني بابليُّ الاصل وكان كاهن بعلوس وقيل انهُ كان معاصراً للاسكندر وهو من اشهر مؤرخي الكلدان دوَّن تاريخاً يتضمن اخبار ملوك بابل كافةً ولم يقع الينا من تاريخهِ سوى بعض روايات منثورة تداولتها السنة العامة وذكرها جماعة من المؤرخين في جملتهم يوسيفوس اليهودي واوسابيوس واكليمنضوس الاسكندري وشنسيلوس وغيرهم . وجميع ما اثبتهُ اخذهُ عن الواح قديمة كانت في عهدهِ في جملة متعلقات الهيكل قد سطرت فيها اخبار الكون وملوك الارض قبل الطوفان وبعدهُ على ما ستراهُ في موضعهِ. وخلاصة ما قالهُ في هذا الصدد ان سكان بابل الاولين كانوا قبائل متوحشة لا نظام لمعيشتها ولا معارف عندها حتى ظهر اوانس وهو الهٌ على شكل انسان وسمكة معاً خرج اليهم من بحر اريثرة فمدنهم وعلمهم الادب والفنون وبناء المدن والمحاكم. واول ملكٍ ولي امرهم الوروس وكان كرسيهُ في بابل و بقيت مدتهُ ٣٦٠٠٠ سنة ثم تعاقب على الملك بعدهُ تسعة ملوك من نسلهِ فساروا سيرتهُ سيخ من الشرائع والآداب المحدثة وآخرهم يسمى اكسيوثروس وعلى عهدهِ انفجرت ينابيع المياه وغمرت الارض فابادت كل ذي نسمةٍ في الارض من البهائم والطيور والناس كافةً خلا الملك ومن معهُ ضمن الفلك الذي اوحى اليهِ كرونوس ان يبنيهُ. ولعل هذا هو عين الطوفان المذكور في كتب قدماء المنود وقصتهُ اشبه بقصة الطوفان الذي ورد الخبر عنهُ في الكتاب المقدس حيث اهلك الماء كل حيٍّ في الارض ولم ينجُ الاّ نوح وعشيرتهُ في الفلك . وذكر بيروسوس انهُ قام عقب هذه الحادثة ستة وثمانون ملكاً من الكلدان ثم قدم ازدرشت المادي بجيوشهِ الى بابل فاخذها واستباحها بالنهب سنة ٢٢٨٩ قبل الميلاد . انتهى ملخصاً . وكثيرٌ من هذه الاقوال وما اشبهها وان وثق بصحتهِ بعض من تقدم من المؤرخين مدفوعٌ عند اهل التحقيق على ما اسلفنا ذكرهُ والمعتمد من ذلك كلهِ الى هذا الاوان ما سنذكرهُ في هذه الرسالة ان شاء الله تعالى وهو سبحانهُ اعلم

(المنتطف) ان حقَّ للمتأخرين الفخر بالتاريخ والاكتشاف فاصدق ماثرةٍ يفخرون بها تاريخ اشور لانهُ زبدة مكتشفات حديثة وخلاصة مباحثات دقيقة ترقى بها العلماء في مراتب اليقين حتى نقلوا الحقائق عن آثار تلك الاعصار الخالية واقتطفوا ثمار الفوائد من هاتيك الاطلال البالية مما يحث اهل الذوق على الاعتناء بجمع آثار بلادهم والحرص على ما يقع في ايديهم من بقايا اسلافهم وقد جمع هذا التاريخ الشاب اللبيب جميل افندي المدور نجل جناب الوجيه نخلة افندي المدور ممدوح شاعرنا المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي حيث قال فيهِ واصاب

اذا عُدَّت رجالُ العصر يوماً فانكَ واحدٌ بمقامِ الفِ